التوجهات الأخلاقية في شعر الإمام الشافعي

أ. حسن عبد الله الخطيب

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

ملخص البحث

إنه الأديب والشاعر، الإمام الفقيه الرباني، بحر العلوم والفنون، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الذي انتهج منهجا يوازي ما أوتي من دين وتقوى وعلم وخلق، حيث انتهج منهجا تربويا وأخلاقيا نابعا من كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فظهر ورعه وأدبه، وتواضعه، وسلامة عقيدته وعبادته وفقهه وتربيته ولغته وبيانه، في سلامة توجهه الأخلاقي والتربوي، في كل مكان يتواجد فيه، في البيت والحي كما في المسجد، في سفره وحله وترحاله.

ظهر في شعره سلامة العقيدة، وحسن عبادته وتعامله ومعاملاته، بل في كل شيء من حياته، فكانت معظم توجهاته الأخلاقية والتربوية صوب العقيدة الإسلامية، والرضا بالقضاء والقدر، والدعاء والاستغفار والذكر وغيرها من الأعمال الصالحات، لتثبيت العقيدة في القلوب، مع ضرورة التحلى بالصبر لتحمل أعباء الحياة والسعي فيها والصبر على الملمات والمصائب، إضافة إلى توجهه الأخلاقي ناحية العفو والمسامحة وغيرها من مكارم الأخلاق، ليظهر ذلك خلقا في حياة المسلم سلوكا وتطبيقا، لا قولا، كل ذلك ظهر جليا في شعره، كما ظهر أسلوبه الشعري الخاص في توجهاته الأخلاقية والتربوية.

Abstract

Moral attitudes in the poetry of Imam Shafi'i

It is the writer and poet، Imam al-Faqih Lord، Sea of Science and Arts، Abu Abdullah Muhammad bin Idris Shafi'i، who pursued an approach equivalent to what is given of the religion of piety and science of creating، where he followed an approach educationally and morally stems from the Book of Allah and the Sunnah of His Messenger Muhammad peace be upon him، appeared to the pious and literature، and his modesty، and integrity of faith and worship and doctrine، and his education، language and statement، in the safety orientation and moral education، in every place where there are، at home and the neighborhood، as in the mosque، and in his resolve and his travels.

Appeared in his poetry the safety of religion، good worship and dealings and transactions، but in everything of

his life، was the most orientations of moral، educational، towards the Islamic faith، and satisfaction with fatalism، and pray and seek forgiveness، and above and other righteous deeds، to install the belief in the hearts، with the need for patience to bear the burden life and seek the patience and the calamities and misfortunes، in addition to heading the moral terms of pardon and forgiveness، and other good manners، to show that ethics in the life of Muslim behavior and application، not in words، all that was clearly evident in his poetry، as was his style poetic on the orientations of moral and educational.

المقدمة

الحمد لله الذي خلقنا من العدم وربانا بالنعم وأسبغ علينا ما ظهر منها وما بطن، وأرسل إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم الممدوح بالنون والقلم، ليشحذ فينا الهمم، ويسمو بنا إلى القمم، ويزرع فينا الاتجاهات الخيرة والقيم، لنقوم بين الناس بالخير والْحِكَم، فما ترك من خير إلا أرشد وعلم، وما ترك من شر إلا حذر ونهى لمن لطريق الله التزم، فإن اتبعناه صرنا خير الأمم.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم التقي الورع العالم الوقور، المتعلم المعلم، القدوة والبيان، الصادق الوعد الأمين، المخلص الوفي، الفطن الراعي الذكي الواعي، الفَهِيمُ النجيب، إلى كثير من تلك الصفات الكريمة والأخلاق الحميدة، التي يحتاجها كل مربي؛ لكي يزرع في تلامذته حب الخير وتوجهاته، ونحتاجها في تربية أبنائنا وإرشادهم وتعليمهم وتثقيفهم.

لقد أخذ الإمام الشافعي رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من الصفات والأخلاق الحميدة، التي تؤهله أن يكون مربيا من طراز فريد، فقد جمع في شعره (وهذا محور حديثنا، بخلاف الكثير من الفنون والعلوم التي ظهر فيها نبوغه العلمي)، معظم أساليب التربية وتوجهاتها، فتارة يوجه الأنظار ناحية الإيمان بالله وتثبيت العقيدة في نفوس الناس، إلى كريم الأخلاق منها، وإلى المحافظة على العادات الطيبة في المجتمع المسلم، ومن ثم إلى طلب العلم والصبر عليه إلى غير ذلك من التوجهات المتعددة.

لقد ضرب الشافعي رحمه الله تعالى؛ أروع الأمثلة في توجهه الأخلاقي والديني والتربوي، ناحية القيم والاتجاهات الخيرة دون انقطاع في شعره، فكان كمن ينهل من معين لا ينضب، فهو الذي تربى

على كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأكابر العلماء الأفاضل، إضافة إلى تربيته على الفصيح من اللغة والبيان، حيث أرسلته أمه صغيرا إلى كثير من المضارب كي يتعلم فنون اللغة وصنوفها، فظهر ذلك جليا واضحا في شعره.

بالتالي كان لزاماً على التربويين والمعنيين في أمور التربية والتعليم سبر أغوار جميع التربويين وخاصة القدماء منهم الذين تربوا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والنظر في أساليبهم التربوية وتوجهاتهم الأخلاقية، حتى تكون لنا عوناً في تربية أبنائنا وندرك معنى التربية على أصولها وحقيقتها من مظانها، كي يتسنى لنا أن نوصل الأمانة إلى أهلها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في التالي:

- إن التوجهات الأخلاقيات نفتقدها اليوم تطبيقا، لابتعادنا عنها في توجهاتنا التربوية الإسلامية مما يؤثر سلبا على سلوكنا، ظهرت هذه التوجهات جلية في شعر الشافعي.
- بيان أهمية التوجهات التربوية في تحسين أخلاق الناس؛ والنشء تحديدا.

أسباب اختيار البحث:

لما للتربية الإسلامية السليمة من أثر عظيم وواضح الأثر في النشء؛ إذا أخذت من مظانها وأهلها المتخصصين المخلصين، أهل الورع والتقوى، الأذكياء الأنقياء الأصفياء.

مشكلة البحث:

يرى الباحث أن كثيراً من مشاكل التربويين المعاصرين، نابعة من عدم الاهتمام بتوجهات التربويين قديما وحديثا؛ وخصوصا الذين تربوا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

أهداف البحث: يهدف الباحث إلى:

- بيان أهمية التوجهات التربوية في شعر الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.
- تفصيل تلك التوجهات في شعره.
- زيادة الوعي الديني لدى الناشئة من خلال التعرف على التوجهات التربوية في شعر الإمام الشافعي.
- المشاركة في إثراء المكتبة العربية والإسلامية بما ينفع التربويين والمتعلمين، على حد سواء، خدمة لتربية الجيل وأبناء المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله.

منهج الباحث:

- استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والاستنباطي في فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكذلك النص الشعري للإمام الشافعي وتطبيقها على أرض الواقع، وخاصة في تعاملنا مع طلابنا كمربين تربويين ومعلمين، ليظهر الأثر التربوي السليم فيهم.
- كما استخدم الباحث المنهج التحليلي لشعر الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة كمدخل للبحث، وأهمية البحث، وسبب اختياره، ومشكلة البحث، وأهداف البحث، وكذلك خطة البحث؛ وهي عبارة عن ثلاثة مباحث وخاتمة وأهم النتائج والتوصيات، ويليها قائمة المراجع.

المبحث الأول: من هو الإمام الشافعي؟

ويشمل ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مولده ونسبه وفضله.

المطلب الثاني: علومه وفنونه.

المطلب الثالث: ورعه وتقواه

المطلب الرابع: وفاته.

المبحث الثاني: الشافعي الشاعر.

ويشمل ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحول الشافعي من الشعر إلى الفقه.

المطلب الثاني: جمع شعره.

المطلب الثالث: ما نسب إليه من أشعار.

المبحث الثالث: التوجه الأخلاقي في شعر الشافعي:

ويشمل مقدمة وعشرة مطالب:

المقدمة.

المطـــلب الأول: التوجه الأخلاقي ناحية التربية الإسلامية وتثبيت العقيدة السليمة.

المطلب الثـــاني: التقوى وأثرها التربوي والأخلاقي على المسلم في الملمات.

المطلب الثـــالث: ثقافة الدعاء والاستغفار والذكر وأثرها تربوياً وأخلاقياً على المسلم.

المطلب الرابـــع: التوجه الأخلاقي نحو التسامح والعفو والتواضع ونبذ أمراض النفس.

المطلب الخامس: التوجه الأخلاقي إكرام النفس واعزازها بالعلم وحسن التعامل.

المطلب السادس: التوجه الأخلاقي سعيا بالخيرات وعمل الصالحات.

المطلب السابـــع: التوجه الأخلاقي في الصبر وأثره التربوي والأخلاقي على المسلم.

المطلب الثامـــن: التوجه الأخلاقي ناحية الزهد والقناعة والتعفف.

المطلب التاســع: التوجه الأخلاقي ناحية العطاء والجود والكرم والسخاء.

المطلب العـاشر: التوجه الأخلاقي نحو مكارم الأخلاق وترك نقيضها.

الخاتمة.

النتائج وأهم التوصيات

المبحث الأول

من هو الإمام الشافعي؟

المطلب الأول مولده ونسبه وفضله:

إنه محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي المطلبي الشافعي المكي[١]. ويحدث عن نفسه فيقول: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة يوم وفاة أبي حنيفة، فقال الناس: مات إمام وولد إمام، وحُمِلْتُ إلى مكةَ وأنا ابن سنتين، وقال: وكانت أمي من الأزد[٢].

فالشافعي نسيب رسول الله ﷺ،... فحمل إلى مكة لما فطم فنشأ بها[٣].

كما نال الشافعي شرف الإمامة والعلم، وشرف الانتساب إلى قريش، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ وسلم قال:"لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان"[٤]. وفي فضل بني هاشم وبني المطلب، ما كان بينه وبين الإمام مالك عندما رمى الإمام مالك كتاب الوالي

١ طبقات المفسرين تصنيف الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي، ج:٢، ص:١٠٢، دار الكتب العلمية: بيروت.

٢ ديوان الشافعي لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي، ص: ٥، دار الجيل: بيروت، ط:٣، ١٩٧٤م.

٣ طبقات المفسرين، ج:٢، ص:١٠٢ بتصرف.

٤ صحيح البخاري، تحقيق د. محمد محمد تامر، ج:٢، ص:٧٠٦، ك:المناقب، ب: مناقب قريش، دار البيان العربي: القاهرة، ط:١، ٢٠٠٥م.

من يده ثم قال: سبحان الله أو صار علم رسول الله ﷺ يؤخذ بالوسائل؟ فتقدم الشافعي لما تهيبه الوالي، قال الشافعي: ـ أصلحك الله ـ إني رجل مطلبي[١]، فأعجب مالك رحمه الله تعالى به وقربه.

وكذلك فيما كان من عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركتنا، وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة؟ فقال النبي ﷺ:"إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد"[٢].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ:"الناس تبع لقريش في الخير والشر"[٣].

ولقد احتج الشافعي في كتاب الصلاة في باب الأذان برواية:"تعلموا من قريش، وقوة القرشي قوة الرجلين من غير القرشي، في نبل الرأي".[٤]

المطلب الثاني: علومه وفنونه:

حفظ القرآن صغيرا، ولد وتربى على حب العلم، ورحل في سبيل ذلك إلى البادية، (وعاشر قبيلة هذيل نحو عشر سنين، يتعلم منهم فنون الرمي وفصيح الكلام وحفظ الأشعار، حيث كانت أفصح العرب، بل إنه صحح أشعارها)[٥]، إنه الذي بَحَرَ وغاص وسبر كثيرا من العلوم والفنون؛ حتى كأنه وحيد زمانه في عصره في كل فنٍ خاضه، فلم يظهر مثله في علماء الإسلام، في فقه الكتاب والسنة، ونفوذ النظر ودقة الاستنباط، مع قوة العارضة، ونور البصيرة والإبداع، وأدب الحوار، فأقام الحجة وأفحم المناظرين، كما أنه برع في اللغة وآدابها، والفلك وفنونه، غيرها من العلوم المختلفة، تأدب بأدب البادية، وأخذ العلوم والمعارف عن البدو والحضر، نبغ في الحجاز، وكان إلى علمائه مرجع الرواية والسنة، وكانوا أساطين العلم في فقه القرآن، وسماه أهل مكة"ناصر الحديث"، فقد أعطي من فضل الله ملكة الحفظ، (فكان يحفظ الحديث إذا قرأه أو سمعه مرة واحدة)[٦]، لذلك كان أهل العلم

---

١ ديوان الشافعي جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي، ص:٧ بتصرف.

٢ صحيح البخاري، تحقيق د. محمد محمد تامر، ج:٢، ص:٧٠٦.

٣ صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،ص:١٤٥١، ح:١٨١٩، ج:٣، ك: الإمارة، ب: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، دار أحياء التراث العربي بيروت، ط:٢، ١٩٧٢م.

٤ مناقب الشافعي تأليف الإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، اختصار وتقديم وتعليق محمد نور الدين مربو البنجري المكي، (مجلس البنجري للنفقه في الدين)، ص: ٣١، ج:١، ط:١، ١٩٩٦م.

٥ الإئمة الأربعة: د. أحمد الشرباصي، ص:١٢٣، بتصرف، دار الجيل بيروت، (لا يوجد رقم الطبعة وسنتها).

٦ أيتام عبر التاريخ: محمد بكر وأحمد السلاق، ص: ٦٧ بتصرف، مكتبة الشباب: الأردن، ط:٢، ٢٠٠٢.

يفدون إلى مكة للحج، يناظرونه ويأخذون عنه في حياة شيوخه، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل:"لولا الشافعي ما عرفناه فقه الحديث"[١].

دخل العراق فأخذ من أهلها الرأي علمهم، فازداد بصرا في الفقه، ونصرا للسنة، قال عنه أبو الوليد المكي موسى بن أبي الجارود: (أخذ الشافعي كتب ابن جريج ـ انتهت إليه رياسة الفقه في مكة ـ وأخذ عن مالك بن أنس ألذي انتهت إليه رياسة الفقه بالمدينة، وأخذ عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة الذي انتهت إليه رياسة الفقه في العراق، فاجتمع له علم أهل الرأي، وعلم أهل الحديث، حتى أصَّلَ الأصول، وقَعَّدَ القواعد، وأذعن له الموافق والمخالف، حتى اشتهر أمره، وعلا ذكره، وارتفع قدره، وصار منه ما صار، كما دخل مصر يعلم الناس فقه السنة والقرآن، فبهر مجالسيه وأقنع محاوريه بحسن أدبه ورجحان عقله وبدقة علمه وسلامة هديه، فلم تر الأعين رجلا مثله، فأخذوا عنه علم اللغة والأنساب والشعر إضافة إلى علم القرآن والسنة، تعلموا منه الاجتهاد ونبذ الخلاف والتقليد، فملأ رحمه الله تعالى طباق الأرض علما[٢]، كما ملأها تقى وورعا.

لقد أجمع شيوخه وقرناؤه وتلاميذه، أنه عالم لا يجارى ولا يبارى، وأثنى عليه الجميع بما يستحق وأقل مما يستحق[٣].

المطلب الثالث عبادته وورعه وتقواه:

قالوا عنه: (لم تعرف له صبوة[٤] في شباب أو كهولة)، كثير العبادة، يقسم الليل إلى ثلاثة أقسام: (ثلث للكتابة وثلث للصلاة والتهجد وثلث للنوم)[٥]. كثير الدمع عندما يقف بين يدي ربه يصلي خشية التقصير. وكان يعتبر نفسه من أهل المعاصي لما في قلبه تعظيم لله تعالى، فيقول:

أحب الصالحين ولست منهم***لعلي أن أنال بهم شفاعـــــة
وأكره من تجارتــه المعاصي***وإن كنا جميعا في البضاعـــة[٦].

١ الرسالة للشافعي، تحقيق محمد أحمد شاكر، ص:٥-٦، بتصرف، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط:٢، ١٩٧٩م.

٢ مسند الإمام الشافعي ص:٣-٥ بتصرف، دار الريان للتراث، القاهرة، ط:١، ١٤٠٨هـ-١٩٧٨م.

٣ الشافعي لمحمد أبو زهرة، ص: ٣٣-٣٥ بتصرف، دار الفكر العربي: القاهرة، (لا يوجد رقم الطبعة وسنتها).

٤ صبوة: أي مال إلى الجهل والفتوة، انظر: المختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، ص:١٤٩، مكتبة لبنان بيروت، ط١٩٨٦م.

٥ الإئمة الأربعة: د. أحمد الشرباصي، ص:١٥٥.

٦ ديوان الشافعي جمعه وعلق عليه محمد الزغبي، ص: ٥٦. دار الجيل بيروت لبنان، ط/٣، ١٩٧٤م.

كان مولعا بالقرآن وصحبته فيختمه في كل نهار وليلة، وفي رمضان ستين ختمة. وكان إذا قرأ القرآن بكى وأبكى سامعيه، روى أحد معاصريه:"كنا إذا أردنا أن نبكي قال بعضنا لبعض: قوموا بنا إلى هذا الفتى المطلبي نقرأ القرآن فإذا أتيناه استفتح القرآن حتى تتساقط الناس بين يديه ويكثر عجيجهم بالبكاء فإذا رأى ذلك أمسك عن القراءة.

كان ﷺ مستقيما على الشرع إلى أقصى الحدود، كريما ذا مروءة وخلق رفيعٌ شأنه، شأن آل البيت سخيا يقبل على الفقراء ويعطي عطاء من لا يخاف عَيْلَةً وفي هذا تروى الأعاجيب عنه. ومن أقواله:"للمروءة أربعة أركان: حسن الخلق والسخاء والتواضع والنسك"، ننظر في كلامه كيف نبع فكره من تربيته، وكيف نشأ شعره من حديثه وفكره

لقد منّ الله على الإمام الشافعي بفضل عظيم، ذكر طرفا من هذا الفضل في بعض فصول مؤلفات بعض المؤلفين والرواة من خلال بعض الآثار المروية عن رسول الله ﷺ، والتي لا تخص أحدا غيرا الشافعي، ولا تنطبق هذه المواصفات على أحد غيره، مما يدلل على أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي قد حاز الشرف من جميع أطرافه، ونال القدر والرفعة من جميع أركانه، وخاصة أن هذه المواصفات لا تنطبق في الغالب إلا على التقي الورع منهم، كيف لا؟ وهو الذي كان (يختم القرآن في شهر رمضان ستين مرة، كل ذلك في صلاة)[1]، ومن صور ورعه وتقواه أنه كان يخاف من ثناء الناس عليه. كما كان شديد الحساسية دوما بالمراقبة فيقول: (كيف يصبح من يطلبه ثمانية: الله تعالى بالقرآن، والنبي صلى الله عليه وسلم بالسنة، والحفظة بما ينطق، والشيطان بالعاصي، والدهر بصروفه، والنفس بشهواتها، والعيال بالقوت، وملك الموت بقبض روحه)[2].

المطلب الرابع: مرضه ووفاته:

كثرت أوجاعه في آخر أيامه، من بينها البواسير[3]، بحيث بلغت منه مبلغا، ومع ذلك لم يصرفه عن الدروس والأبحاث والمطالعات، وليس ذلك بغريب عليه، فعن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يارسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: (الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب

١ ديوان الشافعي، جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي، ص/١١.

٢ الإئمة الأربعة: د. أحمد الشرباصي، ص:١٥٤.

٣ الإئمة الأربعة: د. أحمد الشرباصي، ص:١٥٥.

دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض بلا خطيئة) [1].

دائم الخوف من ربه مستعد للرحيل ولقاء الله، وهو لا يدري أيساق إلى الجنة أم إلى النار، وهذا دأب الصالحين وخلق المتقين، فلقد قال في ذلك: والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنئها أم إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مـــذاهبي***جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تَعَاظَمَنِي ذنبي فلما قرنتُـــــــــه*** بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل***تجُـودُ وتعفو مِنَّةً وتكرمـــــــا[2].

مات رحمه الله تعالى ليلة الجمعة، ودفن يوم الجمعة بعد العصر آخر يوم من رجب سنة ٢٠٤هـ عن ٥٤ سنة بالقاهرة ودفن فيها وقبره معروف ومشهور إلى الآن[3].

المبحث الثاني

الشافعي الشاعر

المطلب الأول: تحول الشافعي من الشعر إلى الفقه:

لقد كان من أمر الشافعي رحمه الله تعالى، عندما رحل إلى مكة أن جلس إلى العرب يستمع منهم أخبارهم ويحفظ أشعارهم، حتى بلغ عشرين سنة، وهذا من الأسباب التي جعلت لغته قوية جداً، وحفظ من الشواهد المهمة في تفسير النصوص وفهمها، كما أوتي رحمه الله تعالى حظا من المواهب يجعله في الذروة الأولى من قادة الفكر وزعماء الرأي، قال عنه بشر المريسي:"مع الشافعي نصف عقل أهل الدنيا"حاضر البديهة عميق الفكرة بعيد الفهم، واضح التعبير، سماه ابن راهويه: خطيب العلماء، قوي الفراسة كشيخه مالك في معرفة أحوال الرجال، صافي النفس من أدران الدنيا وشوائبها، فكان طلبه للعلم لله خالصا؛ لهذا كان اهتمام الشافعي في بداية أمره بالأشعار، حيث استغل حافظته في حفظ الأشعار وتدوينها ونظمها وبقي كذلك، حتى شغل عقله وفكره واهتمامه فقه الكتاب والسنة،

---

١ سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي،حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني،ص: ٥٤٠، ك: الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ح: ٢٣٩٨، ط:١، مكتبة المعارف: الرياض، حسن صحيح.

٢ ديوان الشافعي: جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي، ص: ٧٨-٧٩.

٣ أيتام عبر التاريخ، لبكر والسلاق، ص: ٦٧، والإئمة الأربعة: د. أحمد الشرباصي، ص:١٥٥ ومسند الإمام الشافعي، ص/٥.

فأعرض عنه ليس البتة، وبقي شاعرا، وشاعرا متميزا بل ومن أعظم عيون الشعر ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى، وهو القائل:

ولولا أن الشعر بالعلماء يزري*** لكنت اليوم اشعر من لبيد[١].

أما السبب في تحول الشافعي من الشعر إلى الفقه، أنه كان ذات مرة يسير على دابة، وهو ناشئ وخلفه كاتب لعبد الله الزبيري، فتمثل الشافعي ببيتٍ من الشعر، فقرعه الكاتب بسوطه كالناصح وقال له مرشدا: مثلك يذهب بمروءته في مثل هذا! أين أنت من الفقه؟ فأثر فيه ذلك وهزه، أين أنت من الفقه؟ ثم سارع بمجالسة مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة وتلقى عنه... ولما أذن له مسلم بالإفتاء واصل طلب العلم، وهاجر إلى المدينة فلازمه، ثم قدم المدينة على الإمام مالك رحمه الله تعالى، ودرس الموطأ عنده. وقال له الإمام مالك: (إن الله أضفى عليك من نوره فلا تطفئه بالمعصية) [٢].

لقد أكسب إخلاصه لله وشغفه بالقرآن والسنة الإمام الشافعي ذكاء قلب ونبل غرض وتباعداً عن الدنايا، كان شديد التشبث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تميز رحمه الله تعالى بحيائه الشديد وخجله، حتى نقل عنه أنه كان يحمر وجهه حياء إذا سئل ما ليس عنده، لذلك كان شخصية فذة، يجد المطالع لحياته كثيراً من شمائله وخصاله الحسنة [٣].

المطلب الثاني: جمع شعره:

بما أن الشافعي رحمه الله تعالى أعرض عن الشعر للفقه من صغره، فإن ما قرضه رحمه الله تعالى قليل ويسير، وما وصل إلينا وصل أبياتا متناثرة في بطون الكتب، كحكم وأقوال خاصة بالشافعي، منها البيت، والبيتان، والثلاثة وأكثر من ذلك، وأطولها خمسة عشر بيتا، ومجموع شعره قليل جدا، وكثير منه ينسب لغيره رحمه الله تعالى.

إن جل شعر الشافعي في الحكمة، أو تعبير عما يجول في النفس عندما تعترضها ملمات ومآسي، وتجارب اجتماعية في الحياة، فمنها الشعر الديني الذي يهتف بالقلب لينمي نوازع الخير والصلاح ليزداد ورعاً وتقوى، ومنها الأخلاقي بشتى طرقه واتجاهاته، والتي هي محور بحثنا هذا، فلا

١ الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول: عبد الحليم الجندي، ص:٦١، دار المعارف بمصر، الطبعة بدون ترقيم ولا سنة.

٢ الإئمة الأربعة: د. أحمد الشرباصي، ص: ١٢٤.

٣ انظر: http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=١٠١٣٩٨ إسلام ويب بتصرف.

يبتعد الإخلاقي عن الديني، بل الأخلاق جزء من الدين، حيث نبعت الحكمة منه والتي هي محور قريضه، الذي يستنبط الحكمة بعد رحلة تأمل وتفكر من واقع تجاربه العملية.

إن أول من جمع شعر الإمام الشافعي، أحمد بن أحمد العجمي المتوفي ١٠٢٩هـ، وقد سماه، (نتيجة الأفكار فيما يعزى إلى الشافعي من أشعار)[١]، وقد ظهرت طبعات كثيرة لديوان الشافعي منها: زهدي يكن سنة ١٩٦١، وعبد العزيز سيد الأهل ١٩٦٦، ومحمد عفيف الزعبي ١٩٧١، ومحمد عبد الرحمن عوض ١٩٨٤، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ١٩٨٥، وسليمان سليم البواب (د.ت(، ومحمد إبراهيم نصر ١٩٨٤، وأميل بديع يعقوب ١٩٩١.

ولأهمية النشرات الثلاث الأولى فقد بينت أهميتها ومزاياها في مقدِّمة نشري للديوان، وتكاد تكون النشرات الأخرى تكراراً للنشرات الثلاث الأولى.. وهي على فضل أصحابها وجهوهم الكريمة في إخراج شعر الإمام الشافعي حققت بعض الأهداف في نشرها بعريف القرَّاء عامة بشعر الإمام الشافعي وما تضمنه من القيم الأخلاقية والمُثُل الرَّفيعة، وبيان المعنى العام للأبيات؛ لكنها جميعًا لم تلتزم التزاماً دقيقًا في التحقيق والتخريج للنصوص الشعريَّة، ولم تتوثق من صحة نسبة النصوص إلى الإمام الشافعي، ولا شك أن الكثير مما ينسب إليه ينسب لغيره، مع احتمال أن يترجَّح بعض ذلك له، أو يترجح بعضه الآخر لغيره، واحتمال عدم صحة نسبة بعض النصوص إليه لأنها مما تمثَّل به من شعر الأوائل الجاهليين والإسلاميين، أو لبعدها عن لغة شعره ومعانيه مما توهمه بعض النسخ له، أو لتفرُّد المصادر الخاصة بهذه النسبة[٢].

المطلب الثالث: ما نسب إليه من أشعار:

الإمام الشافعي عالم كبير سارت بذكره الركبان، ولهج باسمه المسلمون في كل مكان، ودان بمذهبه الملايين من البشر، كيف لا وهو واحد من أئمة أهل السنّة الأربعة المبرزين، الذين ساروا على هدي من كتاب الله، وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم فشرحوا، ويسروا، وقرّبوا للأمة الإسلامية أصول الدين، ونظموا قواعده وأحكامه. ولم يكن من أهداف الشافعي أن يكون شاعراً يحلّق بخياله، ليمدح إذا رضي، ويهجو إذا غضب، ومع ذلك فقد نسب إليه شعر كثير، كما نسب إلى الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة وعلماء الأمة من قبل. وإذا ما وضعنا في الحسنات أن نظم مثل هذا

١ ديوان الشافعي وحكمه جمع وإعداد: محمود بيجو ص: ٥ بتصرف.(لا يوجد دار نشر رقم طبعة أو سنة)

٢ ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٣٧٩٣٧

الشعر كان دأب كل عالم أو فقيه في زمان الشافعي، وأن كل من دان بمذهب الشافعي أو تتلمذ عليه كان ينعت بالشافعي.

من خلال قراءتي لديوان الشافعي رحمه الله تعالى تبين لي أن بعض الأبيات لا يمكن أن يقولها الشافعي لأنها مخالفة لنصوص الشرع، كالقول الذي نسب إليه:

لا يكن ظنك إلا سيئـــــــــا***إن سوء الظن من حسن الفطن.

ما رمى الإنسان في مخمصة***غير حسن ظن والقول الحسن[١].

من الصعب التأكد من صحة ما نسب إليه، وأن بعض ما سنقرأه في ديوانه قد يكون للشافعي وقد لا يكون، وقد يكون رَوَي لَه مَنْ أَلَّفَ في حياته، أو ترجم له شعراً كثيراً، بعضه أشبه بأن يكون من شعره، وبعضه يشك في نسبته إليه، وآخر مقطوع بنسبته لغيره، والسبب في ذلك أن الشافعي كان يقول الشعر بين الفينة والأخرى، فينسبون تلامذته ما يسمعون منه، وأغلب هذا الشعر يُضْرَبُ به المثل، فيظن التلاميذ أن هذا من شعر الشافعي، وخاصة أنه تجنب ذلك ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فهو القائل:

ولولا الشعر بالعلماء يزري***لكنت اليوم أشعر من لبيد[٢].

فالشافعي له نظرة خاصة في قول الشعر، لأنه يقلل من هيبة العلماء، وهو القائل أيضا: (لو كنت ممن يقول الشعر لرثيت المروءة)[٣].

وهذا لا يتنافى وشاعرية الشافعي، لأن الشافعي لم يغلب الشعر على علمه ومنهجه، وطريقة تفكيره، وهذا الذي قصده الشافعي؛ ألا يحترف العالمُ الشعر، أو يغلب الشعر على اهتماماته العلمية، وما نسب للشافعي لا يتعدى التالي:

قسم مقطوع بصحته للإمام الشافعي رحمه الله تعالى. وقسم مشكوك بصحته منسوب له ولغيره. وقسم لم يعثر علي مصدر له[٤].

كذلك نسبت إلى الإمام الشافعي أبيات من الشعر وجدتها في كتاب"مناقب الشافعي"للإمام الحافظ أبو بكر البيهقي، ولم توجد في ديوان الشافعي جمع وتحقيق محمد عفيف الزغبي، والتي

١ ديوان الشافعيجمع محمد الزغبي وانظر ماذا يقول المحقق: ص٨٤.

٢ ديوان الشافعي: جمع وتعليق الزعبي، ص:٣٩.

٣ ديوان الشافعي: جمع وإعداد محمود بيجو، ص:٦

٤ ديوان الشافعي جمع محمود بيجو ص:٥-٧بتصرف.

اعتمدت عليها في بحثي هذا، وهذه الأبيات مروية عن الربيع بن سليمان قال: جاء رجل إلى الشافعي فسأله عن مسألة؟ فأجاب، فقال له الرجل: جزاك الله خيرا، فأنشأ الشافعي يقول:

إذا المشكلات تصدين لي***كشفت حقائقها بالنظر.

وإن أبرقت في مخيل السحاب***عمياء لا تجتليها الفكر.

مقنعة بغيوب الغيوم***وضعت عليها حسام البصر.

لساني كشقشقة الأرحبي***أو كالحسام اليماني الذكر.

ولست بإمعة في الرجال***أسائل هذا وذا: ما الخبر.

ولكنني مدره الأصغرين***أقيس بما قد مضى ما غبر.

وسبَّاق قومي إلى المكرمات***وجلَّاب خير ودفَّاع شر.[١]

وكذلك في نسخة البيهقي زيادة شطر بيت عن نسخة العفيفي في قوله أيضا عن الربيع بن سليمان، أنه سمع الشافعي يقول:

من راقب الله رجع***عن سوء ما كان صنع

فالزيادة هي في قوله: (عن سوء ما كان صنع)،[٢]

وهناك اختلاف وزيادة في بعض الأبيات المنسوبة له عند البيهقي، ج/٢، ص/٥٨، وعند العفيفي ص/٨٦، وكذلك هناك أبيات في دفاعه عن نفسه في كتمان حب آل البيت، ص/٥٩، كما أجزم أن أبياتا عند البيهقي منسوبة للشافعي ليست من أقوال الشافعي، لترفع الشافعي التقي الورع صاحب الدين أن يقولها: وخاصة في قوله:

سلام فراق لا مودة بيننا***ولا ملتقى حتى القيامة والحشر[٣]

وكذلك أخلاق الشافعي ودينه لا يسمحان له أن يقول:

اسقهم السم إن ظفرت بهم***وامزج لهم من لسانك العسلا.[٤]

بالتالي فإن بعض الأشعار نسبت له وهي ليست كذلك وأخرى لا يعقل أن قالها رحمه الله تعالى.

---

١ انظر نسخة البيهقي ص:٥٧ج:٢، وانظر نسخة العفيفي ص:٥٧.

٢ مناقب الشافعي للبيهقي: ص:٥٥، ج:٢، القاهرة، رقم الإيداع الدولي، ٦-٠٧٠٢-١٩-٩٧٧ I.S.B.N، ط/١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٣ مناقب الشافعي للبيهقي، ج:٢، ص:٦١،

٤ ديوان الشافعي جمع وإعداد محمود بيجو، ص:٦٢، ومناقب الشافعي للبيهقي، ج:٢، ص:٧٦

المبحث الثالث

التوجه الأخلاقي في شعر الشافعي

مقدمة:

عن عبد الله عمرو رضي الله عنهما أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا، وقال: (إن من أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقا...)[1]. ننطلق من هذا الحديث ومن غيره الكثير؛ والتي تحض على الأخلاق بل ارتبطت سلامة دين المرء منا وتأسيس أسرته بحسن أخلاقه عندما قال الرسول الكريم ﷺ (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه..)[2]، ونظراً لوجود العلاقة التكاملية بين الإيمان والأخلاق نجد التوجهات الأخلاقية تحتل حيزاً كبيراً من أسس ديننا الحنيف.

لذلك نجد الإمام الشافعي وهو التقي الورع، قد ألزم نفسه راضيا مسرورا وبدافع داخلي ناحية التقوى والخلق الحسن، بل وسخر نفسه وما يصدر عنها من قول وفعل وجهد وحركة نحو هذا الأمر، فنجد أنه انطلق في شعره من فعله الديني والأخلاقي، وبالتالي كانت أشعاره كلها توجهات أخلاقية تحث على:

- سلامة الدين والعقيدة طرق النجاة في الدنيا والآخرة، والرضا بالقضاء والقدر.
- التقوى إيمان والتزام أدبي وأخلاقي، وأبوابه مشرعة لكل محب لله ورسوله، فحب الله ورسوله ﷺ فرض وطاعَتهما واجب، وحب الآل والصحب والصالحين عبادة.
- الدعاء أساس العبادة وسلاح ذو أثرٌ عجيب، له أهمية قصوى وقت الملمات.
- السعي بالخير والصلاح من الأعمال أبوابه كثيرة وواسعة، والاستعداد بالصالحات من الأعمال لما بعد الموت ضمان وسنة وفطنة ونباهة.
- الزهد في الدنيا، والأخذ بالعفو ورع ومن الله مِنَّةٌ.
- ترك الحقد والحسد والغيبة والنميمة وغيرها من مساوئ الأخلاق أمر تعبدي.
- العطاء والعمل بالجود والسخاء من أعلى محاسن الأخلاق.
- الصبر على أذى الناس سماحة، وعلى سفاهتهم وظلمهم كرامة ومكرمة، والصبر على مرافقة الأصحاب ومر التعلم مروءة، كما الصبر على محن الزمان تقوى، فأيام السعادة يسهل عدها، وأيام البلاء بلا عداد، والصبر على الصمت والإنصات

---

١ صحيح البخاري، ج:٢، ص:٧٥١، ك:فضائل الصحابة، ب: مناقب عبد الله بم مسعود، ح:٣٧٥٩.

٢ سنن الترمذي ك: النكاح، ب:ما جاء إذا جاء من ترضون.. ح:١٠٨٥، ص:٢٥٦.

المطلب الأول: التوجه الأخلاقي ناحية التربية الإسلامية وتثبيت العقيدة:

كثرت التوجهات الأخلاقية والتربوية الإسلامية عند الإمام في شعره، التي تعين المرء على طاعة ربه وتبعده عن المعصيات، وترضِّيه وقت القلة والملمات، منطلقا في ذلك من تربيته الإسلامية، فنراه يوجه الأنظار الرضا والقضاء والقدر، دون جزع لحادثة تذهب الرشد، أو نتضايق لفاقة تأخذ الألباب، فالناس ليسوا سواء في أرزاقهم وعقولهم وقلوبهم، فالكل متباين فيما عنده وإن كانوا سواء، فهم في ذلك الشقي والسعيد، والمنفق والممسك، لذلك يوجه الأنظار إلى أخلاقيات الرضا والطمأنينة لقدر الله، وفي ذلك تأسيس على تربية مستمدة من قول الله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} {القمر/٤٩}، ومن حديث رسول الله ﷺ:"إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصَرِّفه حيث يشاء"ثم قال رسول الله ﷺ:"اللهم مصرف القلوب! صرف قلوبنا على طاعتك"(١)، فالرضا بالقضاء والقدر من أخلاقيات المسلم التربوية طاعة لله، والصبر على ذلك خلق كريم لذلك نجد الشافعي يقول:

دع الأيام تفعل ما تشـــاء***وطب نفسا إذا حكم القضاء.

ولا تجزع لحادثة الليـــالي***فما لحوادث الدنيا بقـــــــاء(٢).

فالمؤمن مطمئن على رزقه، وغير المؤمن لا يزيدُ رزقَه جَشَعَهُ كثرة نصبه وحرصه، فيقول الشافعي:

ورزق المرء لا ينقصه التأني***وليس يزيد في الرزق العناء(٣).

بل إنه في تلك الأبيات يحث على خلق الإيمان بالقضاء والقدر، والتحلى بالصبر، والاستلام لمشيئة الله وإرادته، بحسن صبره على بلوائه، فالمسلم دائما يحتاج إلى التذكير والتوعية، وما كان شعره إلا من هذا الباب العظيم، عندما يذكر نفوس المؤمنين، بل ويرسخ في أذهانهم أصلا من أصول الدين ألا وهو (الجزاء من جنس العمل)، فيقول:

وجوزي بالأمر الذي كان فاعلا***وصب الله عليه سوط عذابه(٤).

ويحث على الرضا بالرزق وحسن التوكل على الله، ليتحلَّى المؤمن بهذين الخُلُقَيْن فيقول:

توكلت في رزقي على الله خالقي***وأيقنت أن الله لا شـــــك رازقي.

---

١ صحيح مسلم، ج:٤، ص: ٢٠٤٥، ح:٢٦٥٤.

٢ ديوان الشافعي جمعه وحققه محمد الزعبي ص:١٥.

٣ المصدر السابق ص: ١٦.

٤ المصدر السابق ص:٢٤.

وما يك من رزق فليس يفــوتني***ولو كان في قاع البحار العوامق.

سيأتي به الله العظيم بفضلـــــه***ولو لم يكن مني اللسان بناطــق.

في أي شيء تذهب النفس حسرة***وقد قسم الرحمن رزق الخلائــق[١].

لذا نجد أن الذي تعلم لله وأعطى لله، قد آمن حقا وأن الله قد أعد للهم في الآخرة أجرا عظيما، وبالتالي فالطمع في رحمة الله وجنته واجب يعمل له المؤمن حتى يلقى ربه راضيا، لينجو من عذاب الله، يقول:

يا من يعانق دنيا لا بقاء لهـــــا***يمسي ويصبح في دنياه سفَّــارا.

هلا تركت لذي الدنيا معانقـــــة***حتى نعانق في الفردوس أبكارا.

إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها***فينبغي لك أن لا تأمن النـــارا[٢].

كما ويحث على الكرامة والعفة والزهد، بألا يقف المرء على أبواب الناس، وخاصة الذين يحملون صفات الخسة والنذالة، ولا يتجنب أبواب هؤلاء إلا الشهم الحر العفيف فيقول:

أهون من وقفة الحر***يرجو نوالا بباب نحس[٣].

كما يرسخ خلق الترحال والخوف من فتن الدنيا والاستعداد للآخرة بالعمل الصالح، فيقول:

جعلوها لجة واتخذوا***صالح الأعمال فيها سفنا[٤].

كم يسعد المرء بحب الصالحين، فكيف بآل بيت رسول ﷺ، لذلك يبين أن حبهم فرض وفخر، فيقول:

يا آل بيت رسول الله حبــكم***فرض من الله في القرآن أنزلــه.

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم***من لا يصل عليكم لا صلاة له[٥].

وما أجمل أن نرسخ بعد حب الله وحب رسوله ﷺ حب الصحابة ﷺ والخلفاء الراشدين خاصة، فيقول:

أئمة قوم يهتدى بهداهم***لَحَى الله من إياهمُ ينتقصُ[٦].

---

١ المصدر السابق ص:٦٦.

٢ ديوان الشافعي جمعه وحققه محمد الزعبي ص:٤٢.

٣ المصدر السابق ص:٥٢.

٤ المصدر السابق ص:٨٥.

٥ المصدر السابق ص:٧٢.

٦ المصدر السابق ص:٥٤.

اتهام المرء لنفسه وتزكيته للآخرين وحب الصالحين أمر مهم لسلامة دين المرء، وأن يظهر حسن أدبه وجميل خلقه مع كراهية المعاصي وكل ما يغضب الله تعالى، وهذا حال الشافعي فيقول:

أحب الصالحين ولست منهم***لعلِّي أن أنال بهم شفاعـــــة.

وأكره من تجارته المعاصـــي***ولو كانوا سواءً في البضاعة[١].

يوجه الشافعي نحو التربية السليمة، بالإيمان بأسماء الجلال وصفات الكمال من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف على منهج السلف، على مراد الله ومراد رسوله، فنجده يقول:

ما شئت كان وإن لم أشـأ***وما شئت إن لم تشـــأ لم يكن.

خلقت العباد لما قد علمت***ففي العلم يجري الفتى والمسن[٢].

المطلب الثـــاني: التقوى وأثرها التربوي والأخلاقي على المسلم في الملمات:

يقرن رحمه الله تعالى بين العلم والتقوى، لأهمية عبادة الله على علم، ليتخلق المؤمن بخلق العلم والتقوى، فمن تحلَّى بهما بسبب صبره على قسوة المعلم رحمة بتلميذه، ومر التعلم وشدته فهماً وتدبراً لمسائله، سلَّم نفسه من ذل الجهل، وارتقى رفعة ومهابة وقدرا، ونال الدرجات العلى من الجنة، فالتقوى عامل ضمان وأساس للمسلم؛ كي يعينه على تحمل البلاء؛ بل يجد لذة في تحمله، ممتثلا بذلك أمر ربه ﷻ في كتابه، وأمر رسوله ﷺ في سننه، فنرى الإمام يوجه أنظارنا إلى أهمية التقوى والعلم بقوله:

وذات الفتى والله بالعلم والتقى***إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته[٣].

ويوجهنا تربويا إلى أن التقوى أفضل ما يحمل المرء بين جنبتيه من علم فيقول:

يقول المرء فائدتي ومالي***وتقوى الله أفضل ما استفادا[٤].

أمرنا الله تعالى بصحبة الأتقياء لأنها تدوم إلى الآخرة لقوله تعالى: {الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}[الزخرف/٦٧]، وكذلك يحثنا النبي ﷺ على ذلك بقوله: (لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي)[٥]، لذا نجد الشافعي يؤثر الوحدة على صحبة الغوي وغير الآمن إن لم يجد الصاحب التقي فيقول:

---

١ المصدر السابق ص:٥٦.

٢ المصدر السابق ص:٨٣.

٣ ديوان الشافعي جمعه وحققه محمد الزعبي ص:٢٩.

٤ المصدر السابق ص:٤١.

٥ سنن الترمذين ص:٥٤٠، ك:الشهادة عن رسول الله، ب: ما جاء في صحبة المؤمن، ح:٢٣٩٥(حسنه الألباني).

إذا لم أجد خلا تقيا فَوِحْدَتِي***ألذ وأشهى من غوي أعاشره.

وجلس وحدي للعبادة آمنـــا***أقر لعيني من جليس أحاذره[1].

والأروع في توجهاته الأخلاقية، ألا يستوي المؤمن بتقواه مع ارتكابه السيئات والمعاصي وحتى صغائر الأمور، عندما يقول:

فدع عنك سوءات الأمور فإنها***حرام على نفس التقي ارتكابها[2].

إن اهتمام الشافعي في شعره ناحية التوجه الأخلاقي، نابع من حياته الإيمانية التي عاشها تطبيقا، ليكون لها الأثر الطيب والمباشر في نفوس تلاميذه وكل طالب علم من بعدهم، لذا فمعظم التوجهات الأخلاقية الأكثر نجاحا وأثرا في نفوس الناس هي التي تمارس عمليا، لذا نجد أن من أعظم وسائل الدعوة إلى الله والأكثر نجاحا وأثرا في نفوس الناس، هي التي تنبع ممن يتبع قوله فعله وخاصة عندما تكون هذه الأقوال صادرة من رجل كالشافعي رحمه الله.

المطلب الثالث: ثقافة الدعاء والاستغفار والذكر وأثرها تربويا وأخلاقيا على المسلم:

إن من أقوى أسباب بلوغ الأخلاق السليمة إلى قلب المسلم والذي هو محط نظر الرب جل وعلا، ذكر الله تعالى وكثرة الاستغفار والدعاء؛ ليكون القلب الشاكر مرتبط باللسان الحامد تحقيقا لعلامات الإيمان، ودفعا للأذى الذي قد يصيب المرء وقت المحن والخطوب، فالمؤمن بالله على الحقيقة دائم الاتصال به بدوام الدعاء ليكون ثقافة لا تنفك عن العبد المؤمن وإن تأخرت الاستجابة، أيقن العبد الداعي أن التأخير في الاستجابة كان لخير أراده الله لوقت قريب، أو أن الله تعالى سيعظم الأجر للداعي على دعائه، بل يستمر العبد في الدعاء ويلح فيه ليرفع الله درجته إكراما وتثبيتا لهم في مواجهة المصائب والملمات والفتن فيجري على ألسنتهم كثرة الاستغفار والدعاء والذكر فضلا منه وتفضلا، ليطمئنوا بالله، لذا أدرك الشافعي أهمية الدعاء فأراد توجيه الأنظار إلى ذلك فقال:

أتهزأ بالدعـــاء وتـزدريـــــه***وما تدري بما صنع الدعاء.

سهام الليل لا تخطي ولكن***لها أمد وللأمد انقضـــــاء[3].

---

١ ديوان الشافعي جمعه وحققه محمد الزعبي، ص:٤٣.

٢ المصدر السابق ص:٢١.

٣ ديوان الشافعي جمعه وحققه محمد الزعبي ص:١٧.

ويوجهنا إلى ثقافة الذكر وكثرته، لنكون دائمي الاتصال بالله تعالى بمداومة الذكر في كل وقت فيقول:

قلبي برحمتـــك اللهم ذو أنس***في السر والجهر والإصباح والغلس.

ما تقلبت من نومي وفي سِنَتِي***إلا وذكرك بين النَّفـسْ والنفَـــــسِ[1].

إن من يطمع في رحمة الله تعالى ويخاف أليم عقابه، ولا يقنط من رحمته بالمطلق، يكون قد عظم الله تعالى وعرف الطريق إليه تعظيما وتقديرا، لذا نجد الشافعي يبشره بمغفرة الله تعالى فيقول:

إن كنت تغدو في الذنـوب جلـيـدا***وتخاف في يوم المعاد وعيدا.

فلقد أتاك من المهـيـمـن عفـــوه***وأفاض من نعم عليك مزيـدا.

لا تيأسن من لطف ربك في الحشا***في بطن أمك مضغة ووليـدا.

ولو شاء أن تصلى جهنــم خالــدا***ما كان ألهم قلبك التوحيـــدا[2].

إن الاعتراف المسلم صادقا بذنبه، نادما على فعله معاهدا ألا يعود ثانية إليه، مع كثرة الإستغفار لهو من أقصر الطرق إلى رحمة الله وغفرانه لهذا يقول الشافعي موجها:

وقد أتيت ذنوبا أن تعلمهـــــا***ولم تكن فاضحي فيها بفعل مسي.

فامنن علي بذكر الصالحين ولا***تجعل علَيَّ إذاً في الدين من لَبَسِ.

وكن معي طول دنياي وآخرتي***ويوم حشري بما أنزلت في عبس[3].

المطلب الرابع: التوجه الأخلاقي نحو التسامح والعفو والتواضع ونبذ أمراض النفس:

لقد استنبط الأمام واستقى جل أقواله وأشعاره وحكمه، من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، مبسطا ومقربا ذلك توجها خلقيا من خلال الحث على العفو والتسامح بين المسلمين، قال الله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} {الأعراف/١٩٩}، وقال {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} {الزخرف/٨٩}، وقوله تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} {الشورى/٤٠} ويقول الرسول الكريم ﷺ: (... وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً. وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[4].

١ المصدر السابق، ص:٥٠.

٢ المصدر السابق ص:٣٩.

٣ المصدر السابق ص:٥١.

٤ صحيح مسلم، ك:البر والصلة والآداب، ب: استحباب العفو والتواضع، ج:٤، ص:٢٠٠١، ح: ٢٥٨٨.

فمن هذه النصوص وغيرها ينطلق رحمه الله تعالى في توجيهاته نحو خلق العفو والسماحة والتسامح، وخلق الترفع عن قول السوء:

يخاطبني السفيه بكل قبح***فأكره أن أكون له مجيبا.

يزيد سفاهة فأزيد حلمـــا***كعود زاده الإحراق طيبا[1].

ويقول: إذا سبني نذل تزايدت رفعة***وما العيب إلا أن أكون مسابه[2].

لهذا كان سباقا بعفوه عن المسيئين والسفهاء، فيقول إن سلامة النفس وراحتها في ترك العداوات والأحقاد لقوله تعالى: {... وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}{الحشر/١٠} فيمتثل ذلك ويقول:

لما عفوت ولم أحقد على أحد***أرحت نفسي من هم العداوات.

إني أحيي عدوي عند رؤيتـــه***لأدفع الشر عني بالتحيـــات.

فأظهر البشر للإنسان أبغضه***كما إن حشى قلبي محبـــات[3].

كما ويحث على خلق السماحة والوفاء، وقرنه بخلق الرجولة، بقوله:

ولا تجـزع لحـادثـة الليـــالي***فمـا لحوادث الدنيا بقـاء.

وكن رجلا على الأهوال جلدا***وشيمتك السماحة والوفاء[4].

ومن أعظم أنواع الوفاء أن تعفوا عمن ظلمك كما أخبر الحبيب ﷺ لأن في ذلك خلق الكرام من الناس، وليطمئن المؤمن إلى فعل الله فيهم إما بالهداية أو الانتقام، فيقول الإمام:

إذا ما ظالم استحسن الظلم مذهبا***ولجَّ عتواً في قبيح اكتسابـــــه.

فكلْهُ إلى صرف الليالي فإنهـــا***ستدعي له ما لم يكن في حسابه[5].

المطلب الخامس: التوجه الأخلاقي نحو إكرام النفس وإعزازها بالعلم وحسن التعامل.

كم يتعرض المرء منا إلى مواقف محرجة ربما تضعف إيمانه أو تذهب به، فإن لم يكن المرء قد أخذ جرعات إيمانية قوية وكبيرة في دينه، يهلك أو يكون في دائرة الخطر، إلا أن يتداركه الله تعالى برحمته، فلا بد أن يحسب المرء لذلك حسابا، وإن حصل الابتلاء، فعليه بالثبات أمام المحن

١ ديوان الشافعي جمعه وحققه محمد الزعبي ص:٢٢.

٢ المصدر السابق، ص:٢٢.

٣ المصدر السابق، ص:٢٨.

٤ المصدر السابق، ص:١٥.

٥ المصدر السابق، ص:٢٣-٢٤.

والخطوب، كفقد الأحبة، والفقر بعد الغنى وغيرها، لذلك يوجهنا الإمام إلى هذا الذي قد يحدث في أي لحظة، فماذا أنت فاعل أمام المصائب سوى الرضى والطمأنينة بقضاء الله وقدره، يقول:

ما الدهر إلا هكذا فاصطبر له***رزية مـــال أو فـــراق حبيب[١].

يوجهنا إلى أن حياة الكرام الذين يكرمون أنفسهم بالبذل والعطاء والدفاع عن الحمى إكرامها، وأن يعيش كريما جوادا، ويحفظ ود الناس أحياء وأمواتا فيقول:

إذا رمت المكـــارم من كريم***فَيَمِّم من بنى لله بيتـا.

فذاك الليث من يحمي حماه***ويكرم ضيفه حيا وميتا[٢].

كما يعلمنا عزة النفس وعلو الهمة وألا يكون أحدنا إمعة بل يقدم قومه نافعا لهم دافعا عنهم الشر فيقول:

ولست بإمعة في الرجا***ل أسائل هذا وذا ما الخبر.

ولكنني مُـذْرَهُ الأصغريـ***ـن جلاب خيرٍ وفَرَّاج شر[٣].

ثم يوجه إلى جمال خلق التغافل عن عيوب الخلق وأخطائهم، والانشغال بعيب النفس يعالجها، فيقول:

المرء إن كان عاقلا ورعا***أشغله عن عيوب غيره ورعه.

كما العليل السقيم أشغلـه***عن وجع الناس كلهم وجعــه[٤].

ويحثُّ على إبراء الذمم متسامحا وداعيا وموجها نحو هذا الخلق العظيم فيقول:

من نال مني أو علقت بذمته***أبرأتــه لله شــاكر منتـــه

أأرى معوق مؤمن يوم الجزا***أو أن أسوء محمد في أمته[٥].

ثم يوجهنا إلى خلق القناعة والرضا بعيدا عن السؤال صونا للنفس بعيدا عن الإهانة فيقول:

قنعت بالقوت من زمـــاني***وصنت نفسي عن الهـوان.

خوفا من الناس أن يقولــوا***فضل فـلان على فـــلان[٦].

---

١ ديوان الشافعي جمع وإعداد محمود بيجو، ص: ١٨.

٢ ديوان الشافعي جمعه وعلق محمد الزغبي، ص:٣٠.

٣ المصدر السابق، ص:٥٢.

٤ المصدر السابق، ص:٥٦.

٥ ديوان الشافعي جمع وإعداد محمود بيجو، ص: ٢٣.

٦ ديوان الشافعي جمعه وعلق محمد الزغبي، ص:٨١.

المطلب السادس: التوجه الأخلاقي سعيا بالخيرات وعمل الصالحات:

إن محاسن الأعمال مرتبطة بمحاسن الأخلاق، ارتباطا وثيقا لقول الله تعالى: {كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}{الصف/٣}، وحتى يستوي القول بالفعل، فالإحسان ليس قولا وإنما فعلا يطبق وإكرامهم يحتاج إلى إنفاق، لذلك يعتبر إكرام الناس والإحسان إليهم من أعظم الأخلاق التي يتحلَّى بها المؤمن بعيدا عن التفاخر، بل وتعتبر تجارة رابحة يملك الكريم فيها رقاب من أحسن إليهم فيقول:

وأحسن إلى الأحرار تملك رقابهـــم***فخير تجارات الكرام اكتسابها.

ولا تمشين في منكب الأرض فاخرا***فعما قليل يحتويك ترابهـــــا[١].

كما ويحث إلى خلق الإحسان إلى القريب والجار القريب والبعيد بإكرامهم وحسن معاملتهم امتثالا لقول الله تعالى {.. وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ..} {النساء/٣٦}، فمثل هذه الأعمال يرفع قدر وحسن الذكر في الدنيا والآخرة لذا نجد الإمام يقول:

ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه***وصاحبه الأدنى على القرب والبعد.

يعش سيدا يستعذب الناس ذكـــــره***وإن نـابـه حـق أتـوه على قصـــد[٢].

ومن محاسن الأعمال وأجلها والتي تعني حسن الخلق الصادق، أن يكون عملنا مطابق لأقوالنا، لقول الله تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} {آل عمران/٣١}، فاتباع من نحب ليس قولا فقط، وإنما بالقول والفعل، وفي ذلك دلالة على المحبة الصادقة، والخلق القويم، وفي ذلك يقول الإمام رحمه الله تعالى:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه***هذا محال في القياس بديع.

لو كان حبك صادقا لأطعته***إن المحب لمن يحب مطيع[٣].

لا بد للمرء المؤمن أن يتوكل على الله سعيا في طلب الرزق امتثالا لأمر الله تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}{الملك/١٥}، فيقول الإمام:

توكلت في رزقي على الله خالقي***وأيقنت أن الله لا شك رازقي[٤].

---

١ ديوان الشافعي جمعه وعلق محمد الزغبي، ص:٢١.

٢ المصدر السابق، ص:٤١.

٣ المصدر السابق، ص:٥٨.

٤ المصدر السابق، ص:٦٦.

كما والأنظار إلى أن يتولى المرء أمور نفسه في كل شيء بعد التوكل على الله تعالى، فيقول:

ما حك جلدك مثل ظفرك***فتولَّ أنت جميع أمرك[١].

المطلب السابـــع: التوجه الأخلاقي في الصبر وأثره التربوي والأخلاقي على المسلم:

إن من أعظم أخلاق المسلمين الصبر، فهو الذي يوجه وينمي الأخلاق الإسلامية دعوياً وتربوياً؛ لأن الصبر على الطاعات نعمة من الله ومكرمة، والصبر على ترك المعاصي وترك الشهوات والمنكرات والضغائن وأمراضها منَّة وفضل، كما أن الصبر على أذى الناس سماحة وحلم، والصبر على الصمت والإنصات وحسن الاستماع ومر التعلم ورع، والصبر على محن الزمان ومصائب الدنيا إيمان ودين، فمن تحلى بالصبر خلقا، أحبه يقول الله تعالى: {... فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} {آل عمران/١٤٦}، بل ويبشرهم ربهم على صبرهم فيقول: {... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} {البقرة/١٥٥}،

فالآيات التي تتحدث عن الصبر وجزاء الصابرين، وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ، لذلك نجد توجه الإمام نابع من آيات الله تعالى، ومن حديث رسول الله ﷺ، لذلك كان توجه الإمام في شعره نحو هذا الخلق العظيم، ليقول:

دع الأيام تفعل ما تشاء***وطب نفسا إذا حكم القضاء[٢].

وفي التدرع والاحتماء والتحصن بخلق الصبر ومسامحة الأحبة والأصحاب على هفواتهم يقول:

من يتمن العمـــر فليدَّرع***صبرا على أحبائه.

ومن يُعَمِّرْ يلق في نفسه***ما يتمناه لأعدائه[٣].

كما يقول في الحض على الترحال والصبر عليه:

سافر تجد عوضا عمن تفارقه***وانصب فإن لذيذ العيش في النصب[٤].

ويحث على خلق التعلم والصبر عليه، فيقول:

اصبر على مر الجفا من معلم***فإن رسوب العلم في نفراتـــه.

ومن لم يذق مر التعلم ساعـــة***تجرع ذلّ الجهل طول حياته[٥].

---

١ المصدر السابق، ص:٦٨.

٢ ديوان الشافعي جمعه وعلق محمد الزغبي، ص:١٥.

٣ ديوان الشافعي، جمع وإعداد محمود بيجو، ص:١٠.

٤ المصدر السابق، ص:١٧.

٥ المصدر السابق، ص:٢٢.

كما ويبشر بالفرج للصابرين فيقول:

ولرب نازلة يضيق بها الــفتى***ذرعا، وعند الله منها المخرج.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها***فرجت، وكنت أظنها لا تفرج[١].

ومن سلامة الإيمان ألا يقنط العبد من رحمة ربه، لأن ذلك منافي للصبر الجميل الذي يحقق الإيمان، وينفي الكفر، لذلك كانت دعوته توجها أخلاقيا، وتربويا للفرد المسلم، فيقول:

لا تيأسن من لطف ربك في الحشا***في بطن أمك مضغة ووليدا.

لو شاء أن تصلى جهنم خالـــــدا***ما كان ألهم قلبك التوحيــدا[٢].

وأن يصبر المرء على لجم لسانه بالصمت، ألا ما كان في طاعة الله، فيقول رحمه الله تعالى:

احفظ لسانك أيها الإنســـــان***لا يلدغنك إنه ثعبـــــان.

كم في المقابر من قتيل لسانه***كانت تهاب لقاءه الأقران[٣].

كما ويوجه نحو ضرورة الصبر في تعود اللسان على الكلام الطيب والحسن؛ فيقول:

لا خير في حشو الكلا***م إذا اهتديت إلى عيونه.

والصمت أجمل بالفتى***من منطق في غير حينه[٤].

المطلب الثامن: التوجه الأخلاقي ناحية الزهد والقناعة والتعفف ومكارم الأخلاق:

تنوعت مكارم الأخلاق وتعددت في شعر الإمام الشافعي، فعلى سبيل المثال فالزهد فيما عند الناس خلق رفيع يرتقي إليه كرام الناس، ممتثلا بذلك قول الله تعالى: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} {طه/١٣١}، وقول النبي ﷺ: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس)(٥)،

١ المصدر السابق، ص:٢٤.

٢ ديوان الشافعي جمعه وعلق محمد الزغبي، ص:٣٩.

٣ المصدر السابق، ص:٨٢.

٤ المصدر السابق، ص:٨٦.

٥ سنن ابن ماجة تصنيف أبي عبد الله القزويني، حكم على أحاديثه وعلق عليها ناصر الدين الألباني، ك: الزهد، ب: الزهد في الدنيا، ص:٦٨٢، ح:٤١٠٢، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ. صححه الألباني.

وكان توجه الإمام ناحية خلق الزهد في الدنيا وما في أيدي الناس واضحا، فلقد أعطاه هارون الرشيد خمسون ألف درهم، ما خرج من قصره إلا وكان موزعها على حجاب القصر وبوابيه[١].

كما كان توجهه في شعره كذلك، في بيان خلق الزهد والقناعة فقد قال:

فجردت من غمد القناعة صارما***قطعت رجائي منهمُ بذُبابه[٢].

ويقول في موضع يجمع بين خلق الزهد والقناعة، بحيث يميت مطامعه الدنية، فمطامع المرء يهين نفسه، ولكي يتخلص المرء من إهانة نفسه فعليه أن يحيي القناعة في نفسه، حتى يعيش المرء في راحة نفسية، لأن طنع النفس يضعفها عن طلب المعالي، ويقلل همَّتها وبالتالي فإن العفة والقناعة خلق كريم وسمت يزين النفس ويرتقي بها ويعزها:

أَمَتُّ مطامعي فأرحت نفسي***فإن النفس مـــا طمعت تهون.

وأحييت القُنُوع وكان ميتـــا***ففي إحيائـــه عرضٌ مصون.

إذا طَمعٌ يحل بقـلب عبـــد***علتــه مهانــة وعــلاه تهــون[٣].

ومن خلال التعفف يصون المرء نفسه ويحفظها، بل ويزيدها رفعة ومهابة وكرامة وفي التعفف يعيش المرء سالما من الأذى، ويكون محمودا عند الله تعالى وبين الناس، يقول رحمه الله:

صن النفس واحملها على ما يزينها***تعش سالما والقول فيك جميل.

ثم يوجه الأنظار إلى ضرورة عدم الركون إلى الدنيا اعتزازا بها، لأن الدنيا لا تصفو مشاربها، فهي يوم لك ويوم عليك، كما ويبين أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس بالعفة وعمل الخيرات والإيمان، لأن ذلك من أعظم الأخلاق التي يتحلى بها المسلم، يقول رحمه الله تعالى:

يا من تعـزز بالدنيا وزينتـهـــــا***الدهر يأتي على المبني والباني.

ومن يكن عزه الدنيا وزينتهـــــا***فعزه عن قليـــل زائـل فـــاني.

واعلم بأن كنوز الأرض من ذهب***فاجعل كنوزك من بر وإيمـــان[٤].

---

١ انظر ديوان الشافعي لمحمد عفيف زعبي ص/٩بتصرف. وانظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ج/٦ ص/٢٣٩٧،ج/٦،دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط/١، ١٩٩٣.

٢ ديوان الشافعي جمعه وعلق محمد الزغبي، ص:٢٣، والصارم هو السيف، وذبابه حده وأطرافه.

٣ ديوان الشافعي جمعه وعلق محمد الزغبي، ص:٨٦

٤ ديوان الشافعي جمع وإعداد محمود بيجو، ص:٧٧

المطلب التاسع: التوجه الأخلاقي ناحية العطاء والجود والكرم والسخاء:

ما فعله الشافعي من توزيع عطاء أمير المؤمنين؛ على حجاب القصر وبوابيه، تحكي قصة سخائه وجوده، ليصبح مضرب المثل في ذلك، لذا نجده يحث على خلق السخاء الذي يخفي العيوب، لأن الناس في الغالب ترفع من شأن الكريم والجواد السخي، فيقول:

تستر بالسخاء فكل عيب***يغطيه كما قيل السخاء[١].

كما أنه يوجه الأنظار ناحية خدمة الأصحاب وخاصة الجائع منهم شديد الفقر، فمن العار أن يشبع المرء وصاحبه جائع، وفي ذلك توجيه الأسري والمجتمعي ناحية خلق المروءة، فيقول:

ولكنني أسعى لأنفع صاحبي***وعار على الشبعان إن جاع صاحبه[٢].

كما أنه يحث على بذل الجود والتحلي به لأن من يبسط يده في العطاء ويرتقي، ويملك فيقول:

إذا لم تجودوا والأمور بكم تمضي***وقد ملكت أيديكم البسط والقبضا[٣].

ويوجه ليكون العطاء خلقا دائما في المسلم؛ لأنه ينطق العاجز، ويعجز البخيل الممسك فيقول:

كذاك المال ينطق كل عيٍّ***ويترك كل ذي حسب صموتا[٤].

ويقول معربا عن سعادته لمصاحبة الأخيار الأجاويد، وكيف أن صحبة الأجاويد تعدي فيصبح الصاحب جوادا كريما بسبب صحبتهم لأهل الجود والكرم، فيقول:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى***ولم أدر أن الجود منك فه يعدي.

فلا أنا مما قد أفاد ذوو الغنى***أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي[٥].

ويقول رحمه الله تعالى، في وصف الكريم والجواد وأن ذلك من أخلاق المروءة، فمن الضروري أن يتربى المرء على هذه الأخلاق، كما تتربى الأزهار في بساتين الروابي، فيقول:

تربى على روض الرُّبا أزهـــاره***ويرف في نادي الندى ديباجهُ[٦].

---

١ المصدر السابق، ص:٩.

٢ المصدر السابق، ص:١٤.

٣ المصدر السابق، ص:٤٤.

٤ المصدر السابق، ص:١٩.

٥ ديوان الشافعي جمع وإعداد محمود بيجو، ص:٣٠.

٦ المصدر السابق: ص:٢٣.

المطلب العاشر: التوجه الأخلاقي نحو مكارم الأخلاق وترك نقيضها:

كان توجه الشافعي مكارم الأخلاق التي تؤسس لمجتمع إسلامي سليم تسوده المحبة والطمأنينة والخير، ولا يكون ذلك إلا بترك نقيضها، لذا ذكر الله تعالى أسس خراب المجتمعات وأسباب تفرقها، فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ يَا أَيهاُ الذيَّن آمنوَاُ اجتنبوَاُ كثيَرا ًمنَّ الظنَّ إنَّ بعَضْ الظنَّ إثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ {الحجرات/١٢:١١}، لذا أمر الله تعالى بالبر والتعاون عليه ونهي عن الإثم أو الاجتماع عليه فقال: {... وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}{المائدة/٢}، ومن هدي النبي ﷺ: الوصول لأحسن الأخلاق ومن قوله: (واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت)[١]، وهكذا كان الشافعي متبعا في ذلك نهج الرسول ﷺ في والسعي إلى لتمام الأخلاق ومحاسنها وترك مساوئ الأخلاق، لأثرها السيئ في المجتمع، فيقول:

أحب مكارم الأخـلاق جهـدي***وأكره أن أعيب وأن أعابـــا.

وأصفح عن سباب الناس حلما***وشر الناس من يهوى السبابا[٢].

وبالتالي فالحفاظ على اللسان والسمع والبصر مع ضرورة المعاشرة الناس بالمعروف وأن ندفع بالتي هي أحسن، يجعل الدين وافر السلامة والعرض مصان بل بعيدا من الأذى فيقول:

إذا رمت أن تحيا سليمـا من الردى***ودينك موفور وعرضك صين.

فلا ينطقن منك اللســان بســـــوأة***فكلك سوءات وللناس ألســن.

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى***ودافع ولكن بالتي هي أحسن.

وعيناك أن أبدت إليك معايبـــــــا***لقوم فقل يا عين للناس أعين[٣].

كما ويترفع الخلوق ذو الأدب أن يجاري الحمقى، فيتميو بخلق شرف الصمت، فيقول:

---

١ سنن أبي داوود للحافظ أبي داوود السجستاني، ص:١٣١، ك:الصلاة، ب: ما يستفتح به من الصلاة، ح:٧٦٠، دار الكتب العلمية بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.

٢ ديوان الشافعي جمع وإعداد محمود بيجو، ص:١٨

٣ المصدر السابق، ص:٧٦.

قالوا: سكتَّ وقد خوصمت قلت لهم***إن الجواب لباب الشر مفتـــــاح.

الصمت عن جاهل أو أحمق شرف***وفيه أيضا لصون العرض إصلاح[١].

ويقول في موضع آخر عن الحسود ذو الوجهين والترفع في التشبه به في غيبته ونميمته، فيقول:

وذي حسد يغتابني حيث لا يرى***مكاني ويثني صالحا حيث أسمع.

تورعت أن أغتابه من ورائـــــه***وما هو إذ يغتابني متـــــــورع[٢].

يوجه الأنظار إلى أن الاغتراب من دار الجور والذل والهوان، من أحسن الأخلاق فيقول:

إرحل بنفسك من أرض تضام بها***ولا تكن من فراق الأهل في حرق.

من ذلٍ بينٍ أهـاليـه ببلـدتـــــه***فالاغتراب له من أحسن الخلـــق[٣].

وأن المحافظة على السر من مكارم الأخلاق، وإفشاؤه حمق وخيانة، فيوجه نفسه وغيره فيقول:

إذا المـرء أفشى سـره بلسـانـــــــه***ولام عليـــه غيـره فهـو أحمـــق.

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه***فصدر الذي يستودع السر أضيق[٤].

وفي بيان شرف العلم وأهله الكرام وتواضعهم يقول:

وأما كريم الأصل كالغصن كلمـا***تحمل من خير تزايد وانثنى[٥].

رحم الله الإمام الشافعي عن كل كلمة قالها واجتهد فيها، من فقه وعلم وشعر وحكم وأدب، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

١ المصدر السابق، ص: ٢٤.

٢ المصدر السابق، ص: ٤٦.

٣ المصدر السابق، ص: ٥١.

٤ المصدر السابق، ص: ٥٣.

٥ المصدر السابق، ص:٧٥.

الخاتمة

لقد شملت التوجهات الأخلاقية والتربوية في شعر الإمام الشافعي، معظم مكارم الأخلاق، كما تناولت إنكاره وقدحه لمساوئها والتي تؤثر في شخصية المرء سلبا أو إيجابا، بل كانت هذه التوجهات في الأساس قيم واتجاهات تربوية، فينشأ نشأنا على ما تعلم ممن علمنا، وما تربى عليه من علم وأدب.

لذلك تناول الشافعي في توجهاته الأخلاقية والتربوية نصائح وإرشادات وإشارات وتأملات نابعة من تربية تربى عليها، فكانت توجيهاته ناحية سلامة الدين والعقيدة، والرضا بالقضاء والقدر، والعمل على أن نرقى سلم التقوى ذو الأبواب المشرعة، لننال حب الله تعالى بحسن طاعتنا له، وحب النبي صلى الله عليه وسلم بحسن اتباعه، وننال بحب آله وصحبه الكرام والصالحين من العباد شفاعة ترتجى من الحبيب المصطفى، ولنتخذ من عبادة الدعاء حسن التواصل مع ربنا تبارك وتعالى، ليظهر أثر ذلك فينا، لما له من نتائج طيبة؛ ليزداد المسلم بها رفعة، وخاصة الإكثار من عمل الخيرات والصلاحات، لما في ذلك من ضمان لسلامة ديننا، وأن نصبر على العقبات التي تعترضنا ونحن سائرون إلى الله، وخاصة عقبة الهوى والنفس والشيطان وصحبة السوء، كما نجد الإمام قد وجهنا إلى أن نصبر على أذى الناس بحسن العفو لما فيه من سماحة، والصبر على المحن والابتلاءات وسفاهة السفهاء وظلم الظالمين، لأن في ذلك مكرمة من الله تعالى ومنّة، ولما في العفو من ورع وزهد، مما يجعلنا تلقائيا أن نترك الحقد والحسد والكراهية لتصفو النفس والسريرة، تصلح العقيدة ويسلم الصدر والقلب، فيعمل جادا سخيا بكل همة ونشاط ومروءة وشهامة، لا ينتظر من وراء عمله جزاء منأحد ولا شكورا، بل ينتظر من ربه رحمة ومغفرة وفرجا، فانتظار الفرج عبادة، فلا نستطول الطريق، أونستوحش من قلة السالكين في طريق النجاة، كما ويحذرنا من أن نيأس من رحمة الله، أو يصيبنا الشيطان بنسيان عذاب الله وأليم عقابه، مع ضرورة الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وأن نتق دعوة المظلوم، وأن نحسن العفو ونحفظ الجميل ونقبل عذر المعتذرين.

كل ذلك وغيره احتوى شعر الشافعي رحمه الله تعالى هذه التوجيهات الأخلاقية والتربوية، وما تم حصره، لا يمكن أن نذكر التوجيهات الأخلاقية والتربوية، بل لا يمكن أن نوفّ الشافعي جهده فهذا جهد المقل فإن كان خيرا فمن الله وحده، وإن كان غير ذلك فمني والشيطان، والله أسأل أن يكون ذلك في ميزان حسناتي، ويخلف لي فيه خيرا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وآله وصحبه والتابعين.

النتائج وأهم التوصيات:

إن من أهم النتائج:

- أن الأمام محمد بن إدريس الشافعي ليس فقيها فقط بل شاعرا ومن أعظم فحول الشعراء، وهو من نوع فريد وإن لم يمارس الشعر كباقي الشعراء.
- أن الأمام الشافعي استخدم نادر شعره في دعوته لله.
- أنه رحمه الله تعالى استخدم الكثير من وسائل الدعوة إلى الله تعالى.
- ظهرت شخصية الإمام الفقيه والشريف والعالم رضي الله عنه بتوجهه الأخلاقي، وأفصحت كذلك عن شخصيته وتربيته.

ومن أهم التوصيات:

- غرس مكارم الأخلاق في نفوس الناشئة من خلال شعر الشافعي، وكذلك الأدب والأخلاق والمعاملة.
- أن يعطى الشافعي رحمه الله تعالى مساحة أكبر من الإهتمام من قبل وزارة التربية والتعليم العالي والإعلام وخاصة الجانب التربوي والأخلاقي من حياته.
- أن يعتمد شعر الشافعي في منهاجنا كمادة أساسية من مراحل التعليم المختلفة لتعليم أبنائنا اللغة والأدب وجمال البلاغة والبيان.
- أن يكون شعر الشافعي مادة للباحثين دراسة ومنهجا.

قائمة المراجع والمصادر

- الإئمة الأربعة: د. أحمد الشرباصي، ص:١٢٣، بتصرف، دار الجيل بيروت.
- الإمام الشافعي ناصر السنة وواضع الأصول: عبد الحليم الجندي، دار المعارف بمصر.
- أيتام عبر التاريخ، محمد بكر وأحمد السلاق، مكتبة الشباب: الأردن، ط:٢٠٠٢،٢.
- ديوان الشافعي جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزغبي، دار الجيل بيروت لبنان، ط/٣، ١٩٧٤م، (لا يوجد سنة الطبع)
- ديوان الشافعي وحكمه جمع وإعداد: محمود بيجو. (لا يوجد دار نشر ولا رقم طبعة).
- الرسالة للشافعي، تحقيق محمد أحمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط:٢، ١٩٧٩م.
- سنن أبي داوود للحافظ أبي داوود السجستاني، دار الكتب العلمية بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.
- سنن ابن ماجة تصنيف أبي عبد الله القزويني، حكم على أحاديثه وعلق عليها ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ.
- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي،حكم على أحاديثه وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف: الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ.
- الشافعي لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي: القاهرة، (لا يوجد رقم الطبعة وسنتها).
- صحيح البخاري، تحقيق د. محمد محمد تامر، دار البيان العربي: القاهرة، ط:١، ٢٠٠٥م.

- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، ١٩٧٢م.
- طبقات المفسرين تصنيف الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية: بيروت.
- مسند الإمام الشافعي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط:١، ١٤٠٨هـ-١٩٧٨م.
- المختار الصحاح لمحمد الرازي، مكتبة لبنان بيروت، ط١٩٨٦م.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/١، ١٩٩٣.
- مناقب الشافعي تأليف الإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، اختصار وتقديم وتعليق محمد نور الدين مربو البنجري المكي، (مجلس البنجري للتفقه في الدين)، ط:١، القاهرة، ١٩٩٦م.
- http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=٣٧٩٣٧
- .http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=١٠١٣٩٨